كتاب ثمار القلوب

Le Livre Thimâr-al-Qulûb.

اتيح لي في الايام الاخيرة ان اطالع كتاب ثمار القلوب ، في المضاف والمنسوب ، للثعالبي بعد ان لبث في غيابة خزانتي لبث يوسف في سجنه ، وكنت في اثناء مطالعتي المح في الحاشية تعليقات المصحح ، على بعض كلمات الكتاب على سبيل الشرح والتفسير .

فاذا انا امام « شريط من الاعاجيب » ما كنت اتخيلها ، وما كنت اظن ان بشرا حاضر العقل يرتكبها ، وان الانسان ليخلط في حماه ويهذي في منامه ولكنه يخلط ويهذي بما يقارب الواقع اما الحاشية فكانت فوق الخلط وفوق الهذيان .

وكانت اول غلطة فظيعة عثرت بها في مسيري رواية قول حسان ص ١٧٥: « اني لو وضعت لساني على شعر لحلقه او على صخر لفلقه » بقافين ـ (لقلقه) ـ وتعليقه عليها قوله « اللقلقة صوت طائر طويل ... » فحملتها لاستبعادي صدورها من عاقل على هفوة قلمية واشرت الى ذلك في جزء سابق من هذه المجلة (٦: ٣٧١) معتذرا عن المصحح بان الانسان محل السهو والنسيان ولكن لما امعنت في استعراض الحاشية مرت من امامي مخاز وترهات لايمكن لبشر احتمالها فالجأتني الى استرجاع اعتذاري ! لاني لم ارض لنفسي ان اعتذر عن بلاهة فاضيف اليها بلاهة اخرى .

وها هذا اعرض على انظار القراء ما كتبته من الملاحظات حول تلك الفضائح وهي الى تفكهة القراء اقرب منها الى النقد لان الحال سقطت عن ان يتناولها قلم منتقد .

قال في ص ٢٦٧ بيت :

اناس هم المشط استواء لدى الوغى اذا اختلف الناس اختلاف المشاجب

اقول : (المشط) معروف و (المشاجب جمع مشجب) وهو ـ كما في القاموس ـ خشبات توضع عليها الثياب وهذا البيت بديع جدا لان الشاعر عمد الى آلتين احداهما ذات فروع متضامة في استقامة وتواز والثانية ذات فروع

متفرقة ومتباعدة وقد تكون متقاطعة ومنعقفة فشبه الوفاق بالآلة الاولى وشبه الشقاق بالآلة الثانية والصيغة كما لا يخفى اسم آلة اما حضرة المصحح فانه فسرها في الحاشية بالاختلاط والتنازع وان لم تضحك من هذه فسوف يضحكك ما يليها ففي الصفحة نفسها قول بعض البلغاء : « في احدى سني القلم أري وفي الاخرى شري » ففسر حضرته (القرى) بالخراج المعروف وهو بهذا المعنى لو كان مقصورا على وزن (فتى) لكن مراد القائل ما يوازن (الاري) وتفسيره على هذا الوزن (الحنظل) وهو الذي يناسب المقام لفظا ومعنى .

وفي ص ٢٨٢ : « ويقال ايضا كانت عليهم كراغية السقب يعنون رغاء بكر ثمود حين عقر الناقة قدار » هذا نص عبارة المؤلف وهو نفسه فسر السقب بالبكر اي ولد الناقة فأتى المصحح وركب عشواء وقال : « السقب والصقب بفتحتين القرب وفي الحديث الجار احق بسقبه » فأين هذا من ذلك ؟

وفي ص ٢٨٤ قول بعض العرب في وصف ناقة : « الابل سفن البر وجلودها قرب ولحومها نشب وبعرها حطب واثمانها ذهب » ومعنى النشب المال كما هو معروف اما المصحح — وهنا تسكب العبرات — فقد قال : « النشب جمع نشابة » فوقع في خطل مركب : اولا ان لحوم الابل ليست نصولا جارحة فتسمى نشابا . ثانيا ان النشابة جمعها نشاب باسقاط التاء كتفاحة وتفاح .

وفي ص ٢٨٦ في بحث (اشقر مروان) قال المؤلف : « هذا فرس مشهور كان لمروان بن محمد آخر ملوك بني مروان وهو يعدل شبديز ابرويز في الحسن والكرم حتى صار مثلا لكل ظرف — كذا بالظاء — عتيق وفرس كريم » فقال المصحح في الحاشية : « الظرف واحد الظرفاء والظراف وهو المشتمل على طباع كريمة » فهل رأيتم بالله عليكم بلاهة توازي هذه البلاهة ؟

اولا ان الظرف ليس واحد الظرفاء والظراف بل واحدها ظريف وثانيا ان الصواب (طرف) بالاهمال والكسر كـ (سرب) الكريم من الخيل وهو المناسب للمقام .

وفي ص ٢٩٠ بيت من قصيدة ابي دلامة :

وتحفى ان بسطتلها الحشايا ولو تمشي على رمث الرمال

كما ترى (رمث) بالراء وعلق عليها في الحاشية « نبات ترعاه الجمال ينبت في السهل ... » ! والصواب (دمث) بالدال يقال فلان دمث الاخلاق اي لينها.

وفي ص ٢٩٢ : « ابو الهزيل » بالزاي والصواب بالذال المعجمة وفيها ايضا احمد بن ابي داود » والصواب (دواد) بتأخير الالف عن الواو وهما متكلمان مشهوران .

وفي ص ٢٩٨ ، « ذنب الحمار — يضرب مثلا لما يزيد ولا ينقص ... وكان ابو بكر الخوارزمي يقول فلان كأعيان المرجىء وذنب الحمار » والصواب — كما في ص ١٣٥ من الكتاب نفسه « لا يزيد ولا ينقص » و « كأيمان المرجىء » لان طائفة المرجئة تقول « الايمان لا يزيد ولا ينقص » .

وفي ص ٣١٠ : « العرب تقول في الدعاء على العدو :

رماه الاله بداء الدئا ب لان دهره جائع »

هكذا على هيئة بيت من بحر المتقارب وعندي عدة ادلة على ان الكلام ليس بنظم : الاول ان الشطر الثاني غير مستقيم الوزن . الثاني ان تعليل الدعاء على هذا الاسلوب لا يلائم الذوق الادبي . الثالث ان عبارة المصنف لا تدل على انه نظم اذ لو كان نظما لقال : (قال الشاعر) ولم يقل : (العرب تقول) .

وفي ص ٣١١ بيت هكذا :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه احال على الدم

وهو غير موزون والصواب ان يكون هكذا :

وكنت كذئب السوء لما رأى دما بصاحبه (يوما) احال على الدم

وفي ص ٣١٩ بيت :

واما نومكم عن كل (خبر) كنوم الفهد لا يخشى دفاعا

هكذا بالباء الموحدة وعلق عليها حضرته قوله : « الخبر بفتحة وسكون الاختبار » ولم يشأ ان يرويه بالياء المثناة ويستريح من عناء التفسير .

وفي ص ٣٢٠ بيت من الرجز :

ليس ينام كنوم الفهد ويأكل كأكل العبد

وهو كما ترى ليس فيه ما يسمى رجزا والصواب ان يكون هكذا :

ليس بنـــائم كنوم الفهد ولا بآكل كأكل العبد

وفي ص ٣٣٢ : « يقال ابر من هرة » فعلق عليها هـذه العبارة : « الهرة قد ابرت باولادها في اكلها اياهم ... » بزيادة الهمزة في الفعـــل واستعمال ضمير العقلاء . وهذا غاية في الجهل ! وفي الصفحة نفسها بيت الراجز :

انك لو عمرت سن الحسل او عمر نوح زمن (العظمل)

والصواب كما في ص ٥١٥ من الكتاب :

انك لو عمرت عمرت الحسل او عمر نوح زمن الفطحـــل

وفي ص ٣٣٤ هذه الابيات :

وطيب اهـدى لنا طيبا فدلنا المهدي على المهدي
لم يأتنا حتى اتتنـا له روائح اغنت عن النـد
بظـاهر اخشن من قنفذ وباطن اليـن من زبد
كانما تكشف منه المدى عن زعفران شيب بالند

وعلق على (الند) الاول قوله: « الند بالفتح الطيب ، وهذا التفسير صحيح لكنه علق على (الند) الثاني قوله : « والند بالكسر النظير » وهذا نهاية الرقاعة والصواب ان الكسر لا مناسبة له هنا وانما ساقه الى اعتبار الكسر محاولة التخلص من الابطاء فوقع في اقبح منه ولو كان على بصيرة من امره لعوض عن احد الندين لفظة الرند وهو ايضا ذو رائحة طيبة وبذلك يتخلص من الابطاء .

وفي ص ٣٤٦ : « والشعراء يشبهون الشيء الصغير القصير بابهـام القطا والحبارى واظفور العصفور » علق على كلمة (اظفور) هـكذا : « اظفور واظفار واظافير جمع ظفر » والصواب ان لفظة (اظفور) مفرد كظفر وجمع الاول اظافير وجمع الثاني اظفار وراجع القاموس .

وفي ص ٣٥١ البيت المشهور :

اسد علي وفي الحروب نعامة ربداء تنفر من صفير الصافر

علق على لفظة (ربداء) قوله: « ربداء صفة النعامة من ربد اي اقام وسكن » اقول : ان فعلاء صفة مشبهة مثل عرجاء وحمقاء وتختص بما يفيد الثبوت لذلك لا ينبغي ان تأتي من (ربد) بمعنى اقام كما لا يأتي جلساء من جلس ولا كتباء

من كتب والصحيح ان ربداء من الربدة كغبراء من الغبرة وزنا ومعنى .

وفي ص ٣٥٤ البيت المشهور :

بغاث الطير اكثرها فراخا وام الصقر مقلاة تزود

علق عليه قوله « مقلاة مهجورة اي قليلة الولد وتزود تدور باحثة » اقول: ان مقلاة ليست من القلى اذ لا مناسبة له هنا فتفسيرها بالمهجورة ثم تفسير المهجورة بانها قليلة الولد تكلف ظاهر والصواب انها من القلت قال في القاموس « المقلات ناقة تضع واحدا ثم لا تحمل وامرأة لا يعيش لها ولد » وعلى ذلك ينبغي رسمها بالتاء المبسوطة لانها اصلية والرواية المشهورة « مقلات نزور » وهي المناسبة للقافية لان مطلع القصيدة :

ترى الرجل النحيف فتزدريه وفي اثوابه أسد هصور

وفي ص ٣٥٨ في وصف الطائر المعروف بالسمندل « هذا الطائر في طباعه مزاج من طلاء النفاطين واظن هذا الطلاء من طفل وخطمي ومغرة » فعلق على كلمة (النفاطين) قوله « النفاطين طلاء » وسكت والى القارىء الحكم .

وفي ص ٣٨٢ بيت :

وما القطاة الكدر الى القفر اهدى من الفقر الى الحشر

وعلق عليه قوله « الكدر والمنكدر المسرع » ولم ادر لم اضاف لفظة (المنكدر) وانت ترى ان البيت غير مستقيم الوزن وينبغي ان يكون من السريع هكذا :

وما القطا الكدر الى القفر اهدى من الفقر الى الحشر

باسقاط التاء لاقامة الوزن وليناسب كلمة (الكدر) لانها جمع اكدر كحمر لاحمر والكدرة من صفات القطا .

وربما كانت كلمة القبر هنا اولى من كلمة الحشر فتأمل .

وفي ص ٤٣٩ قطعة للجاحظ في من طال فراقه لاهله واشتدت عليه الحال فوقع في ما لا يحسن ذكره ! وفيها يقول : « ومن كان كذلك لم يميز بين غثيان البهائم و ... » كما ترى (غثيان) بالثاء وعلق عليها المصحح قوله : « والغثيان الخبث» ولم تصل مداركه الى ان يصحح الغثيان بالغثيان اي الاتيان.

وفي ص ٤٦٥ بيت :

أترى عليل الوجد يطفىء ناره إلّا رضاب الكاعب الغيداء

قال في الحاشية « الغيداء الغادة بخلاف الاغيد فانه الوسنان المائل العنق » فلينظر ما معنى قوله « بخلاف الاغيد ... » ؟

وفي ص ٤٩٠ حديث عن النبي (ص) : « مازالت اكلة خيبر تعاودني فلا تهدأ او تقطع ابهري » .

وفي الحاشية « الابهر جمع بهر بالضم تتابع النفس » فيالله من هذا الذي لا يصدر مثله عن صاح ! انظروا رحمكم الله ما معنى هذه الحاشية ؟ واي مناسبة بينها وبين الحديث ؟

قال في القاموس : « البهر ... وانقطاع النفس من الاعياء ... » الى ان قال : « والابهر الظهر وعرق فيه » ولا يخفى ان هذا هو المناسب للحديث .

وفي ص ٤٩٩ ابيات في وصف السيف :

كأن على متنيه امواج لجة تفقأ في ضحضاحه وتطول
كأن صغار النر كسرن فوقه عيون جراد بينهن دحول
حسام غداة الروع ماض كأنه من الله في قبض النفوس رسول

علق عليها قوله (ضحضاحه اي بقربه) فاي فائدة في هذا التفسير ؟ مع شيوع كون معنى الضحضاح الماء الخفيف شبه به السيف .

ثم قال : (وقوله الدحول والداحول ما ينصبه صائد الظباء من الخشب) ولم استطع ان افهم المناسبة بين هذا التشبيه وبين آلة لصيد الظباء .

والذي ينبغي ان يقال ان في الكلمة تصحيفا وصوابها ذحول بالذال المعجمة جمع ذحل وهو الثأر يقال : بين القبيلتين ذحل قال الشاعر :

كل فج من البلاد كأني طالب بعض اهله بذحول

وان شئت حدثتك ايها القارئ بشيء أعجب ولا عجب بعد الاطلاع على ما سبق ذلك: اني انتهيت الى الصفحة ٥١٢ فاذا فيها فصل هذا عنوانه : (ليلة منيح منيح بالشام) ... الى ان قال (ولما دخل الرشيد منيحا ...) فقلت ليت شعري ما هو (منيح) الذي دخله الرشيد ولم اسمع به مع شغفي بالتاريخ ؟ وما هي الليلة التي نسبت اليه ؟ ولولا عطفه على ذلك قوله (وهي بلدة البحتري) لما اهتديت الى ان يعني بلدة (منبج) !!!

ومما يضحك الثكلى ما ورد في ص ٥٤٣ (كان سليمان بن عبد الملك يقول : ان الفرس يصهل فتنق له الحجرة وان الفحل يهدر فتضع له الناقة وان التيس لينث فتستحرم له العنز وان الرجل يغني فتشتاق له المرأة) فعلق عليها جناب المصحح قوله : (ينث يرشح) ! والصحيح انه بالباء التحتية المشددة مكان المثلثة اي (يتبه) من نبيب التيس وعلى الباحث ان يفتش عن كلمة (تضع) لعلها (تضبع) او غير ذلك . وتنق لا معنى لها هنا ولعلها تدق من ودق .

وفي الصفحة نفسها في فصل سقاية الحاج « ... ونبيذ الزبيب والزبيب لا نبيذ له ! بل هو الزبيب قد حرف .

وفي ص ٥٤٧ « قال اعرابي لابنه : يا بني كن يدا لاصحابك على من قاتلهم ولكن اياك والسيف فانه ظل الموت واتق الرمح فانه رشا المنية واحذر السهام فانها رسل الهلاك » .

علق على كلمة (رشا) قوله « رشا بكسر الراء وضمها جمع رشوة » ! هذا والله شيء يكاد الناظر اليه يمزق ثيابه ! ويحك ! انها (رشاء) بالمد بمعنى الحبل شبه به الرمح كما شبه عنترة الرماح باشطان البئر في قوله :

يدعون عنتر والرماح كأنها اشطان بئر في لبان الادهم

وفي ص ٥٥٠ بيت :

لارقة الخصر الرقيق غذتهم وتباعدوا عن فطنة الاعراب

بالخاء المعجمة والصاد المهملة والصواب اهمال الاولى واعجام الثانية .

وفي ص ٥٥٩ بيتان :

وند ما له ند تعاطيه من السنه

اذا ما دخل النار حكى رائحة الجنه

علق عليه قوله (الند بكسر النون الطيب والند بفتحها النظير) !!!

هذا ما هيىء لي ان انبه عليه من تلك المخازي ومنه يعلم مبلغ ما منيت به لغتنا العزيزة التي هي دعامة هذه الامة الضعيفة . فكم بين اظهرنا من حاملي شارة العلم والادب لا يمتازون شيئا عن هذا المصحح يجوسون خلال معاهد الافادة ويتسمون بسمات الاساتذة وهو لعمري اثر من آثار الفوضى التي دست اشاجعها في كل شأن من شؤوننا والله هو المجير .

محمود الملاح